

مختصر تفسير سورة الانفال

للسيد محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله

تحقيق
د . ناصر بن سعد الرشيد

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله الأمين وبعد :

فإنـه في أثناء تصویر مرکز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بعـكة المكرمة بعض المخطوطات في مكتبة الأوقاف بيـداد عـرنا على مجموع فيه رسائل كثيرة لبعض أئمـة الحنابلـة كـابن تـيمـية وـابـن رـجب رـحـمـهـاـ اللهـ ، وـضـمـنـهـاـ هذاـ المـجـمـوعـ رسـائـلـ لـشـيخـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوهـابـ رـحـمـهـ اللهـ لـفـتـ نـظـرـنـاـ منـهـاـ ثـلـاثـ هـنـ : « الرـدـ عـلـىـ الرـافـضـةـ وـخـنـصـرـ تـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـأـنـفـالـ » وـهـاتـانـ الرـسـالـتـانـ لـمـ يـسـبـقـ هـمـاـ أـنـ طـبـعـاـ وـرـسـالـةـ بـعـنـوانـ « ذـكـرـ بـعـضـ الـفـوـائدـ الـيـ فـيـ قـصـةـ الـحـدـيـبـيـةـ » وـقـدـ طـبـعـتـ ضـمـنـ كـتـابـ « الدـرـرـ السـنـيـةـ » الـذـيـ جـمـعـهـ الشـيـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ قـاسـمـ الـعـاصـمـيـ الـقـطـاطـيـ الـتجـديـ مـعـنـونـةـ بـتـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـفـتـحـ فـكـانـتـ بـثـابـةـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ لـنـسـخـةـ بـغـدـادـ ، وـهـاتـانـ المـطـبـوـعـةـ وـالمـخـطـوـطـةـ يـصـلـحـانـ أـخـطـاءـ بـعـضـهـماـ وـيـكـملـانـ النـقـصـ خـاصـةـ فـيـ المـطـبـوـعـةـ كـمـاـ هـوـ وـاـضـحـ مـنـ التـحـقـيقـ وـعـنـدـ الـمـقـاـبـلـةـ رـمـزـتـ هـاـ بـحـرـفـ « طـ » . أـمـاـ رـسـالـةـ « خـنـصـرـ سـوـرـةـ الـأـنـفـالـ » وـكـذـلـكـ « الرـدـ عـلـىـ الرـافـضـةـ » فـلـمـ أـحـصـلـ هـمـاـ عـلـىـ أـخـرـىـ لـذـلـكـ فـإـنـ أـمـرـ التـصـحـيـحـ يـبـدوـ صـعـبـاـ وـلـكـنـيـ اـجـتـهـدـتـ مـاـ وـسـعـيـ الـجـهـدـ وـحـرـصـتـ عـلـىـ تـثـيـتـ نـصـوـصـهـماـ .

ويلاحظ أن اسم ناسخ هذه الرسائل مذكور ثم محي ولعل بعضها
نسخت بيد إبراهيم بن باز فله ذكر فيها كذلك على واحدة منهن تملك
باسم الوهبي .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير إنه سميع مجيب .

الدكتور ناصر بن سعد الرشيد

مكة المكرمة ١٣٩٨-٩-١٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ذكر ما نزل من القرآن في وقعة بدر :

قال ابن عباس نزلت سورة الأنفال في بدر (١) وعن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الأنفال فقال : فيما أصحاب بدر نزلت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا فالتي الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزموه ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حربناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا نحن نفينا عنه العدو وقال الذين أحذقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فسأطت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين ونزلت يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول الآية » ، قال الترمذى حديث حسن (٢) .

(١) تنوير المقباس : ١١٣ ، ابن كثير : ٢٨٢/٢ .

(٢) أحكام القرآن : ٨٣٧/٢ - ٨٣٨ ، ابن كثير : ٢٨٣/٢ .

وقوله : « فانقوا الله وأصلحوا ذات ينكم » قال ابن عباس : « هذا تحريج من الله أن ينقوا ويصلحوا ذات بينهم » (١) وقوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » هو الذي ي يريد أن يظلم أو بهم بمعصية فيقال له : اتق الله فيجل قلبه ، وقال ابن عباس : « وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه » (٢) وقوله : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » قال ابن مسعود : « ما جالس أحد القرآن فقام سالماً » ، وقوله : « وعلى ربهم يتوكلون » ثم قال : « الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم يتفقون أولئك هم المؤمنون حقاً هم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » لما ذكر أعمال القلب به على أعمال الجوارح ، وقال الضحاك في قوله : « هم درجات عند ربهم » : « أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي هو فوق فضله ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضل عليه أحد » (٣) .

وقوله : « كما أخر جك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لکارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » روی عن أبي أيوب أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « أني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن تخرج قبل هذه العبر لعل الله يغنمها فقلنا : نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بخروجكم ؟ فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ثم قال : ما ترون في قتال العدو ؟

(١) الطبرى : ١٧٧/٩ ، ابن كثير : ٢٨٥/٢ .

(٢) ابن كثير : ٢٨٥/٢ .

(٣) ابن كثير : ٢٨٦/٢ .

فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو : إذا يا رسول الله لا تقول كما قال قوم موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » بل تقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك فتمنينا عشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله على رسوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية » (١) ، قال (٢) السدي : « بعدهما تبين لهم » أنت لا تفعل إلا ما أمرك الله به » (٣) .

وقوله : « وإن بعدكم الله إحدى الطائفين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يتحقق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليتحقق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » روى أحمد عن ابن عباس « قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر : عليك بالغير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو أسير أنه لا يصلح لك لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفين وقد أعطاك ما وعد » (٤) .

وقوله : « ليتحقق الحق » ليس تكرير لأن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة فإنه ما فعل إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض .

وقوله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مددكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر

(١) نفس المصدر والجزء ٢٨٧/٢٨٧ .

(٢) في الأصل : ابن السدي .

(٣) ابن جرير : ١٨٤/٩ .

(٤) ابن كثير : ٢٨٨/٢ ، أحكام القرآن : ٢/٨٤١ .

إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أصحابه وهم ثلاثة ونinet ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القبلة وعليه رداءه ثم قال : اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً « فيما زال يستغيث بربه حتى التزم الصديق من ورائه فقال : يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية . (١) .

وقوله : « مردفين » أي متابعين ، قوله : « وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم » وإلا فهو قادر على نصركم وهذا قال : « وما النص إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » أي له العزة ولمن آمن به حكيم فيما شرعه من القتال مع القدرة على إهلاكهم بدونه .

وقوله : « إذ يغشكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويشت به الأقدام » يذكرهم الله تعالى ما أنعم عليهم من إنزال النعاس عليهم في ذلك الوطن قال ابن مسعود (٢) النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة (و مجالس الذكر) من الشيطان » وقد أصابهم يوم أحد أيضاً .

وقوله : « وينزل عليكم من السماء ماء » الآية وذلك أنهم حين ساروا إلى بدر كان بينهم وبين الماء رمل فأصاب المسلمين ضعف وألقى الشيطان

(١) ابن جرير : ١٨٩/٩ ، ابن كثير : ٢٨٩/٢ ، ابن الجوزي : ٣٢٥/٣ ، زاد المعاد : ٨٧/٢ ، سيرة ابن هشام : ٢٦٧/٢ .

(٢) ابن جرير : ١٩٣/٩ ، ابن كثير : ٢٩١/٢ .

في قلوبهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنين فأمطر الله عليهم فشربوا واطهروا وتلبد الرمل للناس والدواب (١) قوله : « وليربط على قلوبكم » أي بالصبر والإقدام على الأعداء وهو شجاعة الباطن وثبت به الأقدام وهو شجاعة الظاهر .

وقوله تعالى : « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَرُّوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأْلُقُكُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبُ فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُمْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يَشَاقِقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُنُوقُهُ وَأَنَّ لِكَافِرِنَا عَذَابَ النَّارِ » هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى ليشكروه عليها وهو أنه تبارك وتعالى وتقديس أو حي إلى الملائكة أن ثبتوا الذين آمنوا وأزروهم ، وقيل اللقاء في قلوبهم الظفر « سَأْلُقُكُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبُ فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُمْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » أي اضربوا الرقب أو الرءوس ، والبنان الأطراف وهي أيديهم وأرجلهم ، قال الربيع (٢) كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة بضرب فوق الأعنق وعلى البنان مثل سمة النار » ، قوله : « ذلك بأنهم شاقوا الله » أي ما وقع عليهم بسبب هذه المشافة والكاف في ذلك خطاب الرسول أو لكل أحد وذلكم خطاب للكافرة ، والمعنى ذوقوا هذا العاجل مع الذي لكم في الآخرة .

وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُّوهُمْ

(١) ابن كثير : ٢٩١/٢ - ٢٩٢ .

(٢) نفس المصدر والم الجزء ٢٩٣ .

الأدبار ومن يوهم يومئذ ذبره إلا متورقاً لقتال أو متخيزاً إلى فتنة فقد باع بغضب من الله وموااه جهنم وبنس المصير » توعد سبحانه على الفرار من الزحف بالنار ، والزحف : المراحفة وهي المقاربة والدنو ، قوله : « إلا متورقاً لقتال » أي يفرّ مكيدة ثم يعطى لقتال « أو متخيزاً إلى فتنة » جماعة من المسلمين قيل ولو كان الإمام الأعظم (١) .

قوله تعالى : « فلم تقتلواهم ولكن الله قتلهم وما رميتم إذ رميت ولكن الله رمى وليل المؤمنين منه بلاء حسناً ! إن الله سميع عليم » يقول تعالى : هو الذي أنزل الملائكة وشاء الظفر والنصر وألقى الرعب في قلوبهم وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع « وما رميتم إذ رميت ولكن الله رمى » وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب بعد نضرته فرمى بها وقال : شاهت الوجوه وأمر أصحابه أن يحملوا فأوصل الله ذلك التراب إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله ما شغله فولوا مدربين (٢) ، قوله : « وليل المؤمنين منه بلاء حسناً » أي ليعطى لهم عطاء حسناً قال الشاعر : (٣) .

جزى الله بالإحسان ما فعلوا بكم وأبلها غير البلاء الذي يبلو وفي الحديث : « وكل بلاء حسن أبلانا (٤) (بعد قوله الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا) (٥) .

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢٦٨/٢ ، زاد المسير : ٣٣٢/٣ .

(٣) القائل : زهير بن أبي سلمي انظر شرح ديوانه : ١٠٩ .

(٤) ابن كثير : ٢٩٦/٣ .

(٥) مكان هذه الجملة غير واضح المعنى .

والمعنى والإحسان إليهم فعل ما فعل : إن الله سميع لدعائهم عليهم بأحوالهم . قوله : « ذلکم وأن الله موهن كيد الكافرين » هذه بشاره أخرى أعلمهم سبحانه أنه يضعف كيد الكافرين فيما يستقبل وأن معطوف على ذلکم . يعني أن الغرض إبلاء هؤلاء وتهين كيد هؤلاء .

وقوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغى عنكم فتکم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » وذلك أن أبا جهل قال : اللهم أقطعنا للرحم وأنانا بما لا يعرف فأحنه الغداة (١) فكان هو المستفتح على نفسه « وإن تنتهوا » أي عن الكفر فهو خير لكم في الدنيا والآخرة ، « وإن تعودوا نعد » أي إن عدم إلى الكفر عدنا لكم بمثل هذه الواقعة « ولن تغى عنكم فتکم شيئاً ولو كثرت » لأن الله لا غالب له « وأن الله مع المؤمنين » أي كائن ذلك لأن الله معهم .

وقوله : « يا أبیها الذين آمنوا أطیعوا الله وأطیعوا الرسول ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذین قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » أي تركوا طاعته « وأنتم تسمعون » أي علمتم ما دعاكم إليه « ولا تكونوا كالذین قالوا سمعنا الآية » قال ابن اسحق (٢) « هم المنافقون يظهرون أنهم سمعوا

(١) زاد الماء : ٨٩/١٢ ، سيرة ابن هشام : ٣١٢/٢ .

(٢) ابن كثير : ٢٩٧/٢ .

واستجابوا وليسوا كذلك » ثم أخبر أن هذا الضرب شر الخلق فقال : « إن شر الدواب عند الله » الآية ثم جعلهم شرها « ولو علم الله فيهم خيراً » أي قصداً صحيحاً « لأسعهم » أي أنهما لهم ولو فعل لتولوا عناداً .

وقوله : « يا أيها الدين آمنوا استجيبوا لله ولرسول إذا دعاكم لما يحبكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » قال البخاري : (١) « لما يصلحكم » قال مجاهد : (٢) « وهو هذا القرآن فيه النجاة والثقة والحياة » وقال عروة : (٣) « أي للحرب التي أعزكم بها بعد الذل » « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » قال ابن عباس (٤) « يحول بين المؤمن وبين الكافر وبين الإيمان » وقال مجاهد : (٥) « حتى يتركه لا يعقل » وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » (٦) قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » يحذر تبارك وتعالى فتنة لا تخصل أهل المعاصي بل تعم حيث لم تدفع فترفع قال ابن عباس : (٧) « أمر الله المؤمنين ألا يقرروا المنكر بين ظهرياتهم فيعمهم العذاب » .

وقوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن

(١) صحيح البخاري : ٩٤/٣ .

(٢) ابن كثير : ٢٩٧/٢ والرواية عن قتادة .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) زاد المسير : ٣٣٩/٣ ، ابن جرير : ٢١٥/٩ .

(٥) تفسير مجاهد : ٢٦١ ، ابن كثير : ٢٩٨/٢ .

(٦) مستند أحمد : ٢٥٧/٣ .

(٧) زاد المسير : ٣٤١/٣ ، ابن جرير : ٢١٨/٩ .

يَخْطُفُكُمُ النَّاسُ فَأَوَاكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَرِزْقُكُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ لِعُلُوكِكُمْ
تَشْكِرُونَ » يَبْنَهُ تَبَارُكٌ وَتَعَالَى عِبَادُهُ عَلَى نِعَمِهِ لِتُشْكِرُوهَا حِيثُ كَانُوكُمْ
بِحَكَمَةِ كَذَلِكَ « فَأَوَاكُمْ » أَيْ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ قَتَادَةُ فِي الْآيَةِ (١) :
« كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذْلَلَ النَّاسَ ذَلًا وَأَشَقَاهُ عِيشًا وَأَجْوَعَهُ بَطْوَانًا
وَأَعْرَاهُ جَلْوَدًا وَأَيْنَهُ ضَلَالًا مِنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ شَقِيقًا وَمِنْ مَاتَ مِنْهُمْ
رَدِيَ فِي النَّارِ يَؤْكِلُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ وَاللَّهُ مَا نَعْلَمْ قَبْلًا مِنْ حَاضِرٍ أَهْلَ الْأَرْضِ
يَوْمَئِذٍ كَانُوكُمْ شَرَّ مِنْهُمْ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلَامِ فَمَكِنَ بِهِ فِي الْبَلَادِ
وَوَسَعَ بِهِ فِي الرِّزْقِ وَجَعَلَهُمْ بِهِ مُلُوكًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَبِالإِسْلَامِ أَعْطَى
اللَّهُ مَا رَأَيْتُمْ فَأَشْكَرُوا اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ فَإِنْ رَبُّكُمْ مَنْعَمٌ بِحُبِّ الشُّكْرِ وَأَهْلِ الشُّكْرِ
فِي مُزِيدٍ مِنَ اللَّهِ .

وَقَوْلُهُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ » قَالَ الزَّهْرِيُّ : (٢) « نَزَّلَتْ فِي أَبْيِ لِبَابَةِ حِينَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ فَاسْتَشَارُوهُ فِي التَّزَوُّلِ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : نَعَمْ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ثُمَّ فَطَنَ فَحَلَفَ
لَا يَذُوقُ ذُوَاقًا حَتَّى يَمْوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَانْطَلَقَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَبِطَ
نَفْسَهُ بِسَارِيَةٍ » وَالْخِيَانَةُ تَعْمَلُ الذُّنُوبَ الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (٣)
« وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ » الْأَمَانَةُ الْأَعْمَالُ الَّتِي اتَّعَنَّ اللَّهُ عِبَادُهُ عَلَيْهَا يَعْنِي الْفَرِيْضَةُ

(١) اِبْنُ كَثِيرٍ : ٣٠٠/٢ ، اِبْنُ جَرِيرٍ : ٢٢٠/٩ .

(٢) اِبْنُ كَثِيرٍ : ٣٠٠/٢ وَانْظُرْ اِبْنَ جَرِيرٍ : ٢٢١/٩ ، زَادُ الْمَسِيرَ : ٣٤٤/٣ .

(٣) اِبْنُ كَثِيرٍ : ٣٠١/٢ ، وَابْنُ جَرِيرٍ : ٢٢٣/٩ .

يقول لا تخونوها لا تنتصروها » ، وقال عروة : (١) « أَيْ لَا نَظُهِرُوا لَهُ مَا يَرْضَى بِهِ عَنْكُمْ ثُمَّ تَخَالَفُوهُ فِي السُّرِّ إِلَى غَيْرِهِ فَذَلِكَ هَلَكَ لِأَمَانَتِكُمْ » وقوله : « وَاعْلَمُوا أَنَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » أَيْ اخْتَارَ لِعِلْمِ أَنْشَكَرُوهُ أَمْ لَا ، قال ابن مسعود : (٢) « مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ فَإِنَّكُمْ أَسْتَعِذُ فَلَا يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنْ مُضَلَّاتِ الْفَتْنَةِ ... »

وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَقَوَّلُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فَرَقَانًا وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ سَبَائِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ » أَيْ فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَقَيلَ : نَصْرًا وَقَيلَ : نَجَاهَ وَالْأُولُ أَعْمَمُ فَإِنْ مَنْ اتَّقَى وَفَقَ لِعِرْفَةِ الْحَقِّ فَكَانَ ذَلِكَ سَبِبُ نَصْرَهُ وَنَجَاهَهُ مِنْ شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَكْفِيرِ ذَنْبِهِ وَهُوَ مَحْوُهَا وَغَفْرَانُهَا وَهُوَ سَرِّهَا عَنِ النَّاسِ .

ثُمَّ قَالَ : « وَإِذَا يَمْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ » هَذِهِ الْآيَةُ نَزَّلَتْ فِي تَشَاورِهِمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ فِي شَأْنِهِ لَمَّا أَرَادُوا الْهِجْرَةَ هَلْ يَثْبِتُونَهُ أَيْ يَحْبِسُونَهُ وَيُوْتَقُونَهُ (٣) أَوْ يَقْتُلُونَهُ أَوْ يَخْرُجُونَهُ أَيْ يَنْفُونَهُ مِنْ مَكَّةَ وَالْقَصْدَةِ مَذَكُورَةٌ فِي السِّيَرَةِ بَطْوَهَا (٤) ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : وَإِذْكُرْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذْ خَلَصْتَكَ مِنْ تَلْكَ الشَّدَّةِ وَمَكَرَتْ بِهِمْ بِكِيدِي الْمُتَّنِ .

ثُمَّ قَالَ : « وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقَلَّنَا مِثْلُ هَذَا

(١) ابن كثير : ٣٠١/٢ مع زيادة الكلمة « من الحق » .

(٢) ابن جرير : ٢٢٤/٩ مع زيادة حرف « من » في « من أحد » .

(٣) في الأصل : ويُوْتَقُونَهُ .

(٤) انظر مثلاً سيرة ابن هشام : ٩٢/٢ - ٩٥ .

إن هذا إلا أساطير الأولين ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » يخبر تعالى عن كفرهم وتمردتهم أنهم إذا تليت عليهم الآيات يقولون : لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد تخداتهم غير مرة أن يأنوا بسورة من مثله فلم يقدروا وإنما قالوا هذا ليغيروا من اتبعهم ، والقاتل لهذا هو النضر بن الحارث (١) ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم بدر صبرا فقال المقداد : يا رسول الله أسيري فقال : إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر بقتله فقال المقداد : يا رسول الله : أسيري فقال اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد : هذا الذي أردت (٢) ومعنى أساطير الأولين : أي كتبهم يتعلم منها قوله : « وإذا قالوا اللهم الآية » هذا من عظيم عنادهم وكان الأولى أن يقولوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة كقول قسم شعيب : « فأسقط علينا كسفنا من السماء » الآية وقال عطا : (٣) « وهو النضر ابن الحارث » فقال الله تعالى : « وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » وقال : « سأله سائل بعذاب واقع » ولقد أنزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله » قال قنادة : (٤) « قال سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها » وقوله : « وما كان

(١) زاد المير : ٣٤٨/٣ .

(٢) ابن جرير : ٢٢١/٩ ، ابن كثير : ٣٠٤/٢ .

(٣) ابن جرير : ٢٢٢/٩ ، ابن كثير : ٣٠٤/٢ .

(٤) ابن جرير : ٢٢٢/٩ ، ابن كثير : ٣٠٥/٢ .

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون » قال ابن عباس : (١) « أمانان : النبي والاستغفار فذهب النبي وبقي الاستغفار » قوله : « وهم يستغفرون » يعني من سبق له من الله الدخول في الإيمان » قوله : « وما لهم إلا يعذبهم الله وهم يصلون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون » يخبر تعالى أنهم أهل لذلك لأجل هذا الفعل ولهذا لما خرج الرسول عليهم عذبهم الله يوم بدر قوله : « وما كانوا أولياء الآية » أي ليسوا أهلا له وإنما أهله النبي ومن معه كقوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآية » قال مجاهد : (٢) « هم المتقون من كانوا وحيث كانوا » . قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تکفرون » المكاء : الصفير والتصدية أي التصفيق ، قوله : « فذوقوا العذاب » هو ما أصابهم يوم بدر .

وقوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » قالوا : نزلت في إتفاق قريش وأبي سفيان الأموال بعد بدر وإرصادها لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان السبب خاصاً .

وقوله : « ليميز الخبيث من الطيب » يحتمل أن يكون في الآخرة

(١) ابن كثير : ٣٠٥/٢ .

(٢) ابن جرير : ٢٣٩/٩ .

(٣) تفسير مجاهد : ٢٩٢ ، ابن كثير : ٣٠٧/٢ .

ويختمل في الدنيا أي إنما أقربناهم على الأموال وجعلناهم ينفقونها في ذلك ليميز الله من يطعه بقتاهم أو يعصيه بالنكول عن ذلك .

وقوله : « وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين » قال مجاهد : (١) « سنتا فيهم يوم بدر وفي غيرهم من الأمم » .

وقوهم : « وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة » في الصحيح أن رجلا جاء إلى ابن عمر فقال : ألا تسمع ما ذكر الله : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا الآية » فقال : يابن أخي أغتر بهذه الآية أحب إلي أن أغتر بقوله : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا » قال : فإن الله يقول : « وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة » قال ابن عمر : قد فعلنا إذ كان الرجل يفتئن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يعود وإما أن يوثقه حتى كثُر الإسلام فلم تكن فتنة ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال : أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يغفو عنه وأما علي فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأشار بيده وهذا بيته حيث ترون ، وفي لفظ وهل تدرى ما الفتنة ؟ كان محمد يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كفتالكم على الملك » (٢) وفي لفظ في غير الصحيح قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله » (٣) قال ابن عباس (٤) « حتى لا تكون فتنة ؛

(١) ابن كثير : ٣٠٨/٢ وانظر ابن حجر : ٢٤٧/٩ .

(٢) البخاري : ٩٥/٢ .

(٣) ابن كثير : ٣٠٨/٢ - ٣٠٩ .

(٤) نفس المصدر والجزء ٣٠٩/٢ .

حتى لا يكون شرك » وكذا قال أبو العالية ومجاهد وغير واحد ، وقوله : « ويكون الدين كله لله » قال ابن عباس : (١) « يخلص التوحيد لله » وقال ابن اسحق : (٢) « ويكون التوحيد خالصاً لله [ويخلع ما دونه من الأنداد] ». .

وقوله : « فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » أي إن استمروا على خلافكم فاعلموا أن الله سيدكم وناصركم عليهم .

وقوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن الله خمسه ولرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبادنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قادر » الغنيمة : ما أخذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب ، والفيء : ما أخذ منهم بغير ذلك كما ذكر في سورة الحشر ومن يجعل أمر الفيء والغنم راجع إلىرأي الإمام يقول : لا منفأة بينهما إذا رأه الإمام ، وقوله : « الله خمسة » مفتاح كلام ، الله ما في السموات وما في الأرض كذا قال إبراهيم والشعبي والحسن (٣) وغير واحد ، وقوله : « إن كنتم آمنتم بالله الآية » أي امتهلوا ما شرعن لكم في الخمس إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل .

وقوله : « ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وإذلال الشرك عن غير ملأ منكم (٤) وقوله : « ليهلك من هلك عن بينة وليحيا من حي عن بينة

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) سيرة ابن هشام : ٣١٨/٢ ، ابن كثير : ٣٠٩/٢ .

(٣) ابن كثير : ٣١١/٢ .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

وإن الله لسميع عليم » أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك والإيمان هو الحياة كقوله : « أو من كان مينا فأحييناه الآية (١) » « وإن الله لسميع عليم » لتضر عكم عليم بكم أنكم تستحقون النصر . وقوله : « إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » قال مجاهد : (٢) أراه الله إياهم في منامه قليلاً فأخبر أصحابه بذلك فكان تثبّتاً لهم » وقوله « إِذْ يُرِيكُوهُمْ إِذْ تَقِيمُونَ أَعْيُنَكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ » هذا من لطفه تعالى بهم أن أراهم إياهم قليلاً ليجزيهم عليهم ، ومعنى هذا أن الله أغوى كلاً منهم بالآخر وقلله في عينه ليطمع فيه ليعذب من أراد وينعم على من أراد » .

وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فَتَهَا فَاثْبِتوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لعلَّكُمْ تُفلِحُونَ » هذا تعليم لآداب اللقاء وطريق الشجاعة ، وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « لاتتمنوا لقاء العدو واسألو اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاثْبِتوا وَادْكُرُوا اللَّهَ إِنَّ جَلَبَوْا وَصَبَحُوا فَعَلَيْكُمُ الصَّمْتُ » (٣) قال قتادة : (٤) « فرض اللَّهُ ذَكْرُهُ عِنْدَ أَشْغَلَ مَا يَكُونُ عِنْدَ الضَّرَابِ بِالسَّيْفِ » فأمر اللَّهُ بذكره في هذه الحال والاستعانت به وطلب النصر منه وأن يطيعوا الله ورسوله في حاهم ذلك ولا يتنازعن فيكونون سبياً لفশلهم » .

(١) الأنعام : ١٢٢ .

(٢) ابن جرير : ١٢/١٥ ، زاد المسير : ٣٦٢/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ١٧٧/٤ .

(٤) ابن جرير : ١٤/١٠ ، ابن كثير : ٣١٦/٢ .

وقوله : « ونذهب ريحكم » يعني قوتكم وما كنتم فيه من الإقبال .

وقوله : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس ويصلدون عن سبيل الله والله بما يعملون محبيط » يقول تعالى بعد أمره بالإخلاص في القتال وكثرة ذكره ناهياً لهم عن التشبه بالمرشكين الذين خرجوا بطراً أي دفعاً للحق ، وقوله : « والله بما يعملون محبيط » وهذا جاز لهم عليهم . بقوله : « إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » قال حين رأى الملائكة قال قتادة (١) « صدق عدو الله » وقوله : « إني أخاف الله » كذب عدو الله » .

قوله تعالى : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكلا على الله فإن الله عزيز حكيم » قال الشعبي : (٢) « كان ناس تعلموا بالإسلام فخرجوا مع أهل مكة يوم بدر فلما رأوا مكة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم » وقال مجاهد وغيره (٣) وقال الحسن : (٤) وهم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين » .

وقوله : « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعيid » يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو ترى إذ يتوفي الذين كفروا الآية » أي لو عاينت ذلك لرأيت أمراً هائلاً وهذا

(١) زاد المسير : ٣٦٧/٣ .

(٢) ابن كثير : ٣١٨/٢ .

(٣) ابن جرير : ٢١/١٠ .

(٤) ابن جرير : ٢١/١٠ ، وابن كثير : ٣١٨/٢ .

وإن كان سببه يوم يدر فهو عام في كل كافر إذا بشرته الملائكة بالعذاب كما في حديث البراء^(١) قوله : « ذلك بما قدمت أيديكم الآية » أي أن الله لا يظلم كما في الصحيح : « من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »^(٢) وهذا قال : « كذاب آل فرعون الآية » أي فعل هؤلاء كما فعل من قبلهم ففعلنا بهم كما فعلنا بأولئك .

وقوله : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ولا هم يتقون » أي أن شر ما دب على الأرض الذين كفروا « فهم لا يؤمنون » الذين عاهدوا تقضوا قوله : « وهم لا يتقون » أي لا يخافون الله فيما ارتكبوا من الآثم .

وقوله : « فإذا تخلفنهم في الحرب » أي تظفر بهم « فشرد بهم » أي نكل بهم ومعناه غلظ عقوبتهم ليخاف غيرهم من الأعداء .

وقوله : « وإنما تخلفن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » أي إن خفت منهم نقضاً لما بينك وبينهم من العهد « فانبذ إليهم على سواء » أي أعلمهم بذلك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم أنهم حرب سواء ، قوله : « إن الله لا يحب الخائنين » أي لو في حق الكفار روى الإمام أحمد عن سلمان أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعوني أدعهم كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال : إنما كنت رجلاً منكم فهداي الله عز وجل إلى الإسلام فإن أسلمتم

(١) ابن كير : ٣١٩/٢ .

(٢) صحيح سلم : ١٩٩٤/٤ .

فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبیتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون وإن أبیتم نابذناكم على سواء إن الله لا يحب الخائبين يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها » (١) .

وقوله : « ولا يحسن الذين كفروا سبوا أنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » يقول تعالى : « ولا يحسن الذين كفروا الآية » أي أنهم تحت قدرتنا ثم أمر بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الاستطاعة بقوله : « ما استطعتم » أي مما أمكنكم من قوة ومن رباط الخيل والقوة الرمي ، وذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل (٢) ، وقوله : « وآخرين من دونهم » قال مجاهد : (٣) « قريظة » وقال الثوري : (٤) قال ابن عيأن : هم الشياطين التي في الدور » وقال مقاتل وابن زيد : (٥) « المنافقون » ويشهد له قوله تعالى : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » .

وقوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو العزيز الحكيم وإن يربدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره

(١) سند أحمد ٤٤٠٥ ، الترمذى : ١١٩٤ ، ١٢٠ .

(٢) ابن كثير : ٢٢١/٢ .

(٣) تفسير مجاهد : ٢٦٧ .

(٤) ابن كثير : ٢٢٢/٢ .

(٥) ابن جرير : ٣٢/١٠ ، ابن كثير : ٣٢٢/٢ .

وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألغت بين قلوبهم ولكن الله أله بينهم إله عزيز حكيم » يقول تعالى : إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم فإن حاربوا فقاتلهم فإن جنحوا للسلم أي المصالحة فاجنح لها أي مل إليها ، قوله : « وتوكل على الله » أي صالح مع التوكل فإن الله ناصرك ولو أرادوا بالصلح خديعة ليستعدوا ثم ذكر نعمته عليه بالهاجرين والأنصار وتأليفة بين قلوبهم ، قوله : « إن الله عزيز حكيم » أي منيع الجائب لا يخيب من توكل عليه حكيم في أفعاله بضم الأشياء مواضعها ، وقال ابن مسعود في الآية : (١) « نزلت في المتحابين في الله » قال ابن عباس : (٢) « إن الرحمة لقطوع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ، قال الأوزاعي : (٣) « حدثني عبده بن أبي لبابة عن مجاهد ولقبيه فأخذ بيدي فقال إذا التقى المتحابان بالله فأأخذ أحدهما بيدي صاحبه وضحك إليه تحيات خطاياهما كما تحيات ورق الشجر ، قال عبده فقلت له : إن هذا ليسير فقال : لا تقل ذلك فإن الله يقول : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألغت بين قلوبهم الآية » فعرفت أنه أفقه مني » وقال ابن عون عن عمير بن إسحاق قال : (٤) « كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الألفة » .

وقوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

(١) ابن كثير : ٢٢٢/٢ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) ابن جرير ٣٧/١٠ وابن كثير ٢٢٢/٢ .

(٤) المصادران السابقان .

إلى قوله : « وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتحريض المؤمنين على القتال ويخبرهم أنه حسبهم أي كاففهم وناصرهم وإن كثر عدوهم ثم قال مبشرأ وآمراً : « إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ شَرُونَ صَابِرُونَ يُغْلِبُوا مَا تَيَّبَنَ الْآيَةُ » ثم نسخ الأمر قال ابن عباس : (١) « لَمَّا نَزَّلَتْ شَقْعَةُ الْأَرْضِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَاءَ فَرْضٌ أَلَا يَفْرُطُ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ إِذَا تَحْفَيْفُهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ هَذَا أَنْهَى الْأَرْضَ عَنْكُمُ الْآيَةُ » وَنَقْصٌ مِنَ الصَّابِرِ بِقَدْرِ مَا خَفَّفَ » .

وقوله : « مَا كَانَ لَنِبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخُنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » الآيات ، ذكر سبب التزول في السيرة (٢) .

وقوله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتَكُمْ خَيْرًا مَا أَخْذَ مِنْكُمُ الْآيَةُ » قال ابن عباس : (٣) « نَزَّلَتْ فِي عَبَاسَ وَأَصْحَابِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَا بِمَا جَئْنَا بِهِ وَلَنْ تَصْحَّنَ لَكَ عَلَى قَوْمَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ » .

وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمِ الْآيَاتِ » ذكر تعالى أقسام المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين وأنصار فهو لاء بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد فكانوا يتوارثون حتى نسخ (٤) ، ثم قال : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ

(١) ابن جرير : ٤٠/١٠ - ٤١٠ ، ابن كثير : ٢٢٤/٢ ، البخاري : ٩٥/٣ - ٩٦ .

(٢) البداية والنهاية : ٣/٣ - ٢٩٨ ، زاد المير : ٣٧٩/٣ - ٣٨٠ .

(٣) ابن جرير : ١٠/٤٩ ، ابن كثير : ٢٢٧/٢ .

(٤) ابن جرير : ١٠/٥٢ .

من ولایتهم من شيء حتى بهاجروا » هؤلاء الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المقام نصيب ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال .

وقوله : « وإن استنصروكم في الدين » يقول تعالى وإن استنصركم (١) هؤلاء في قتال ديني على عدوهم فانصروهם فإنهم إخوانكم في الدين إلا إن استنصروكم على كفار بينكم وبينهم ميثاق .

وقوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » لما ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع المواراة بينهم وبين الكفار وهذا روي : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » رواه أبو داود من حديث سمرة مرفوعاً (٢) وفي حديث آخر : « أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين » (٣) .

ومعنى قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة الآية » أي إن لم تجنبوا المشركين وتتوالوا المؤمنين إلا وقعت الفتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المسلم بالكافر فيقع فساد عريض .

وقوله : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » كقوله في الحديث ، « المرء مع من أحب » (٤) وفي الحديث الآخر :

(١) في الأصل : استنصركم .

(٢) سنن أبي داود : ٨٤/٢ .

(٣) ابن كثير : ٣٢٠/٢ .

(٤) صحيح مسلم : ٢٠٣٤/٤ .

« من أحب قوماً حشر معهم » (١) ، قوله : « وأولوا الأرحام الآية » وهذه ناسخة للإرث بالخلف « في كتاب الله » أي في حكم الله والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة يوم الأربعاء لسبع بقين من ربيع الآخر بقلم الفقير إلى ربه العلي (٢) .

(١) ابن كثير : ٢٣٠/٢ .

(٢) اسم الناشر ممحو .

المصادر والمراجع

- ١ - آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب
للدكتور أحمد الضبيب ، الرياض . ١٣٩٧ هـ .
- ٢ - أحكام القرآن
لابن العربي ، الجزء الثاني ، تحقيق العجافي ، القاهرة .
- ٣ - البداية والنهاية
لابن كثير ، الجزء الرابع ، بيروت والرياض ١٩٦٦ م .
- ٤ - تفسير مجاهد
تحقيق عبد الرحمن بن محمد السورتي ، الدوحة ١٣٩٦ .
- ٥ - تفسير ابن كثير
الجزء الثاني ، القاهرة .
- ٦ - تفسير الطبرى
الجزء التاسع والعالى ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .
- ٧ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس
للفيروز أبادى ، القاهرة ، ١٣٧٠ .
- ٨ - تفسير القرطبي
دار الكتب المصرية ١٣٥٧ .
- ٩ - الدرر السنية
لابن قاسم العاصمي النجدي ، الرياض .

١٠ - الدر المثور

للسيوطي ، القاهرة .

١١ - زاد المسير

لابن الجوزي ، الجزء الثالث ، بيروت ١٣٨٥ .

١٢ - زاد المعاد

لابن قيم الجوزية ، القاهرة ١٣٧٩ .

١٣ - سنن الترمذى

تحقيق إبراهيم عطوة ، القاهرة .

١٤ - سنن أبي داود

تعليق الشيخ أحمد سعد علي ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .

١٥ - سيرة ابن هشام

الجزء الثاني ، ضبط الشيخ محمد محبي الدين عبد الحميد ، القاهرة

١٦ - شرح ديوان زهير

صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٣ هـ .

١٧ - صحيح البخاري

طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ .

١٨ - صحيح مسلم

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٣٧٥ هـ .

١٩ - المسند

للإمام أحمد بن حنبل ، القاهرة .

مختصر تفسير سورة الأنفال

٢٨ - ١